# الكرامات
# وموقف التصوف منهـا

للاستاذ السيد محمد عيد الشافعى

اعتاد الناس أن يجعلوا خوارق العادات كرامة من الله لمن ظهر على يديه الفعل وهذا ولا شك حكم غير قاطع لوقوع الاحتمال فيـه ، اذ أن لخوارق العادات من الافعال مصادر وطرقا متعددة ، فتارة يأتى الفعل الخارق للعادة عن قوة كامنة فى النفس تنفعل لها الاشياء اذا قويت ، وتارة يأتى الفعل عن طريق الحيلة الطبيعية كالسمياء ، وتارة يأتى الفعل عن طريق العزيمة والسحر ، وتارة يأتى الفعل الخارق على يد عبد صالح من غير تعمل منه ، بل يجريها له الحق تعالى تأييدا له ، ولو لم يكن مشـاهدا ولا عالمـا بسر الانفعال الكونى له فيما أراد ، وتارة يأتى الفعل من العبد وهو عالم بسره مع اعطائه قوة التمكن من الفعل • الا أن هـذه الحالة الاخيرة لهـا أحكام وشروط تنحصر فى أربعة • الاول • أن يترتب على ذلك الفعل تمهيد لامر دينى أو دفع لضرر عيني • الثـانى • أن يكون ذلك تأييـدا لحق جـاء به رسول – الثالث – استتار الحال ما أمكن الى ذلك من سبيل – الرابع – أن يكون ذلك بتأييد واعلام من الله عز وجل ، أى أن يعلم ذلك العبد مايترتب على ذلك الفعل قطعا ، اما بطريق الاخبـار أو الكشـف اليقينى ، أو بأية وسيلة أخرى ، من الوسائل التى لاتقبل الشك أو النقيض • بمعنى أنه يفعل ولسان الحال فيه يقول ( وما فعلته عن امرى ) ولقد ذكر لنا الامام محيى الدين بن العربى قدس الله سره قصة حدثت أمام عينه فى مجلس حضره عام خمسماية وستة وثمانين أسوقها اليك أيها السيد الكريم نصا : يقول رضى الله عنه حضر عندنا فيلسوف ينكر النبوة على الحد الذى يثبتها المسلمون وينكر ماجاءت به الانباء من خوارق العادات وان الحقائق لاتتبدل، وكان ذلك زمن البرد والشتاء ، وبين أيدينا منقل عظيم يشتعل نارا فقال المنكر المكذب • ان العامة تقول ان ابراهيم عليه السلام ألقى فى النار فلم تحرقه ، والنار محرقة بطبعها الجسوم القابلة للاحتراق ، وانما كانت النار المذكورة فى القرآن فى قصة ابراهيم عبارة عن غضب النمرود عليه وحنقه، فهى نار الغضب ، وكونه القى فيها لان الغضب كان عليـه ، وكونهـا لم تحرقه أى لم يؤثر فيه غضب الجبار نمرود ، لما ظهر به عليه من الحجة ، بما أقامه عليه من الادلة فيما ذكر من أفول الانوار وانها لو كانت الهة ما افلت فركب له من ذلك دليلا ، فلما فرغ من قوله : قال له بعض الحاضرين ممن كان له هذا المقام والتمكن – فان أريتك أنا صدق الله فى ظاهر ما قاله فى النار انها لم تحرق ، وان الله جعلها عليه بردا وسلاما ، وانا أقوم لك فى هذا المقام مقام ابراهيم فى الذب عنه ، لا أن ذلك كرامة فى حقى ؟ فقال المنكر : هذا لايكون ، فقال له أليست هذه هى النار المحرقة ؟ قال نعم :

فقال تراها فى نفسك ثم القى النار التى فى المنقل فى حجر المنكر وبقيت على ثيابه مدة يقلبها المنكر بيده ، فلما رآها ماتحرقه تعجب ثم ردها الى المنقل ثم قال له قرب يديك أيضا منها فقرب يده اليها فأحرقته فقال له : هكذا كان الامر · وهى مأمورة تحرق بالامر وتترك الاحراق كذلك ، والله الفاعل لما يشاء ، فأسلم الرجل المنكر واعترف · وفى هذه القصة ستة أمور ، الامر الاول · اقامة الفعل برهانا منه لصدق ماقال الله · الثانى · قوة التمكن من الفعل · الثالث · تصحيح القصد بتنزله فى مقام ابراهيم عليه السلام ، حتى لايكون الفعل كرامة فى حقه ·

الرابع · استتار الحال فى ذلك القول منه · الخامس · هداية الرجل الى الحق فى دين الله · السادس · انه لايمكن أن يكون ذلك بارادة العبد وقوته ، ولذا لابد أن يكون هناك تأييد له من الحق واعلام وفقدان هذه الشروط مع وجود الفعل رعونة ، ولما ان كانت مصادر الفعل متعددة ، ووسائله مختلفة على هذه الصورة والعلم بمعرفة الحق فى ذلك من الباطل غير ميسور الا على قليل ممن علم الله التبس الامر على كثير من الناس ، وتعذر عليهم التفرقة بين الكرامة الصادرة من الله عز وجل على سبيل البر بعبده ، وبين الفعل الصادر عن غير هذا الطريق ، وذلك للاتحاد فى المعنى ، حيث ان الكل فعل خارق للعادة عند الناس ومثله ما حدث من أمر السحرة مع نبى الله موسى عليه السلام حيث ألقى السحرة عصيهم وحبالهم فاذا بها يخيل اليه هو من سحرهم انها تسعى · وألقى هو عصاته فاذا بها تلقف ماصنعوا ، فالفعل صورته فى الامرين واحدة ، ولكن الاول بفعل ساحر · والثانى بتأييد من الله عز وجل · وعلى ذلك يمكن صدور الفعل الخارق للعادة المسمى بالكرامة اصطلاحا عند العامة على يد من لم تكمل استقامته مع الله عز وجل ، ومن ثم لايصلح هذا الفعل الخارق دليلا قاطعا على اكرام الله لمن ظهر على يديه الفعل · ولذا لم ينظر أهل الله المحققين الى هذه الخوارق لوجود هذه الاحتمالات ، ولما فيها من استدراج خفى لمن ظهر على يديه الفعل بغير تأييد واعلام منه سبحانه ثم هى قواطع للسالك فى طريق القوم ان هو وقف معها · ويدلنا على ذلك قول الامام أبى يزيد البسطامى رضى الله عنه حيث قال : لو ان رجلا بسط مصلاه على الماء وتربع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهى · اذا فالكرامة الحقيقية المجمع عليها عند أهل الله تعالى هى كرامة العلم بالله تعالى وصفاته وأحكامه وما يجب على المرء فى جميع حركاته وثكناته مع كامل التأييد للعبد من الله تعالى حتى يكون محفوظ الظاهر والباطن ، فلا يقع منه مايشوب عبوديته ، قال تعالى ( ان أكرمكم عند الله أتقاكم ) فيكون بذلك مستقيما على صراط الله العزيز الحميد ، مقبلا عليه بكنه الهمة فيزداد قربا من الله واكراما وعلما وليس بعد القرب من الله والعلم به كرامة لمن عقل والله يقول الحق ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم والله أعلم ·